



د . حسن الهويمل

■ إشكالية الأدب الإسلامي مخالفه تكمن في اختلاف المفاهيم، إذ الأدب الإسلامي مشروع تكاملي مع المناهج الأدبية العربية والغربية كافة، غير أنه يتميز عنها بأنه ينطلق من الإسلام.

كافة، غير أنه وبطبيعته يتميز عنها بأنه ينطلق من الإسلام، وللإسلام رؤيته المتميزة للكون والحياة، وأنه لذلك لا يجد بدا من فحص كل طارئ، والنظر في

مدى موافقته وملاءمته للمقاصد الإسلامية، ومتى وجد الأدب الإسلامي أن المستجد من المذاهب لا يخدم القيم والثوابت والمسلمات فإنه يصرف النظر عنها، ولكنه لا يصادر حقها في الوجود، إذ إن مبدأ التعايش والتفاعل قائم، ولهذا فكل جديد سواء أكان من الغرب أم من الشرق لا يرفض على إطلاقه ولا يقبل على إطلاقه، وإنما ينظر في مدى استجابته للأدب من حيث هو تمثيل للحضارة الإسلامية، فما وجده مجدياً أخذ به بوصفه ضالته، وما لم يكن مجدياً حال دون نفاذه. ثم إن تلك قضية مسلمة وهي أن الحضارة - أي حضارة - لا يمكن أن تكون منفصلة بحيث لا تستوعب ما هو متمشٍ مع ثوابتها ومسلماتها.

واستقبال الناقد الإسلامي للمستجدات مرتبط بمحركات الحضارة.

ومثلما أن المناهج والمذاهب الغربية جاءت لتحقيق حضارة الغرب فإن من حق الفكر الإسلامي وآدابه أن يسعى جهدهما لتحقيق حضارة الانتماء.

والشيء المؤكد أن المذاهب والمناهج الغربية مرتبطة بالإنسان، وهذا الارتباط يخول الناقد الإسلامي حق المسائلة والانتقاء وعدم الذوبان في كل طارئ.

وحوار الحضارات قائم، والاختلاف قائم، والرفض والقبول قائمان، وليس في شيء من ذلك بأس متى استطاع الناقد الإسلامي أن يعيش حضوراً فاعلاً منتجاً مستفيداً من المنجز الإنساني بالقدر الذي يخدم مبادئه وأهدافه، ومن تذر من الاختلاف أو تحفظ على التساؤل فإن ذلك مؤذن بمسح الشخصية واضمحلال هويتها.

وأوجز د. محمد بنعزوز أستاذ الأدب والنقد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض رؤيته للتعامل مع المذاهب الأدبية الغربية، في الخصوصية الذاتية والخصائص المشتركة، فقال:

إن هذه المذاهب الأدبية الغربية وُلدت في بيئة غير بيئتنا، وهي تمثل تلك البيئة من الناحية الفكرية والثقافية والأدبية أحسن تمثيل، وتعبّر عن موقف أصحابها من جملة من القضايا التي واكبت تطوّرهم الأدبي. وعلى الرغم من الصفة الأدبية التي مُنحت لهذه المذاهب، فإنها لا تخلو من خلفية فكرية وحمولة دلالية تتضمن رؤيتها للحياة والإنسان التي تؤطر إبداعات أدبائها وتوجههم الوجهة التي تراها أليق وأجدر بالمرحلة التاريخية التي وُجدت فيها. ومن ثمّ فهي تتسم



د. محمد بن عزوز

■ الغرب يتعامل مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

بخصوصيتها الحضارية المرتبطة بمرجعيتها الفكرية والفلسفية والتاريخية. ومادامت هذه المذاهب جزءاً من خصوصية البيئة التي أنتجتها فإن محاولة صبغها بصيغة عالمية لا يعدو أن يكون ضرباً من التبعية والتقليد، الذي قد يرفضه أصحابه، فما بال المفتونين بكل ما هو غربي لا يعنون هذه الحقيقة؟! توجد نقطتان بارزتان في المجال الحضاري وهما: الخصوصيات الذاتية، والخصائص المشتركة.

فالخصائص المشتركة تتفاعل فيها مع غيرنا، ونأخذ منه ونعطيه، ولا حرج في ذلك.

فالحضارة نفسها لا تعدو أن تكون ثمرة من ثمار التفاعل الإيجابي بين الإنسان والكون والحياة.

أما الخصوصيات الذاتية المرتبطة بعقائد الغربيين وفلسفاتهم ومذاهبهم وتوجهاتهم وما ينتج عنها من ألوان التعبير فلسنا ملزمين بها، وهم غير ملزمين كذلك بخصوصياتنا الذاتية المرتبطة بالإسلام وما انبثق عنه من فكر وأدب. وهذا سلوكهم معنا على مر التاريخ. فهم يتعاملون مع معطياتنا الحضارية بما يرضيهم، وعلينا أن نتعامل مع معطياتهم الحضارية بما يفيدنا، ولا نقع في التقليد والاتباع.

وأوضح د. عبد الباسط بدر أستاذ الأدب والنقد بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً، جوانب من الآثار الإيجابية والسلبية في الدراسات الأدبية والنقدية، وكاشفاً عن عدد من الحقائق لا بد من وعيها للارتقاء بأدبنا الإسلامي، فقال:

حمل العصر الحديث إلى أدبنا مستجدات كثيرة ظهرت

آثارها في شكله ومضمونه، وكان بعضها إيجابياً أثراً بفنون لم يعرفها من قبل، كفن المسرحية وفن الرواية، وبعضها الآخر سلبياً يملؤه بمضامين مضادة لعقائدنا وتقاليدينا، ويسعى لقطعه عن جذوره بحجج وأعداء شتى، وتحويله إلى تقليد مشوه لأدب نبتت في غير بيئاتها وحملت طوابع تلك البيئات وثقافتها.

وامتدت الآثار الإيجابية والسلبية إلى دراسات الأدب ونقده، وكانت نتائجها فيها مماثلة لنتائجها في الأدب، فمن إيجابياتها عطاءات لا تكرر، كتأريخ الأدب بمناهج متعددة، والتحليل الفني الشامل للنص، والتنظير الذي يرصد ظواهر الأدب واتجاهاته، فهذه الأنماط من الدراسات لم تكن معروفة. على هذا النحو من التفصيل والشمول. لدى نقادنا القدماء، لا لقصور ثقافتهم أو ضعف مناهجهم، بل لأن العصور التي وجدوا فيها لم تكن قد وصلت إلى هذه المناهج والثقافات، سواء في عالمنا العربي والإسلامي أو في العالم الغربي، وقد يجد الدارسون في تراثنا النقدي عبارة لناقد أو كلمات لمتذوق تماثل أو تقارب بعض ما يرد في الدراسات النقدية الحديثة ويدعي أنها سبق معرفي، وبذور لما وصل إليه المحدثون،